

التدخين تاريخه وأضراره و حكمه في الفقه الإسلامي (دراسة موضوعية تحليلية)

أ.م. د. حسن خالد مصطفى محمود المفتي
أستاذ الفقه وأصوله المساعد بكلية العلوم الإسلامية
جامعة صلاح الدين
أربيل - كردستان - العراق
Hasan.mustafa@su.edu.krd

الخلاصة

هذه الدراسة نبذة عن التدخين وأضراره والأحكام المتعلقة به في الفقه الإسلامي، وبينتها وفق منهج علمي موضوعي، وقد حثني على بيان تلك العادة المذمومة أضرارها من حيث أدلة الشريعة الإسلامية وكذلك الأدلة العقلية فضلا عن الدراسات الطبية الموثقة بالأدلة والبراهين والحقائق العلمية، رجاء تركها خصوصا في مجتمعنا الكردي، أو الحد منها، وقد سميت به (التدخين، تاريخه، أضراره و حكمه في الفقه الإسلامي). وجعلته في مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المبحث الأول فقد تناول تاريخ ظهور التدخين ومواده وأسبابه وعلاجه، وقسمته إلى ثلاثة مطالب، وأما المبحث الثاني فقد ركزت فيه على حكم تعاطي التدخين في الفقه الإسلامي، ويتناول هو الآخر ثلاثة مطالب، ثم أنهيته بأهم النتائج والتوصيات أرجو أن تكون مهمة للفرد وللمجتمع على حد سواء، وبالله تعالى التوفيق.

Smoking History, Harm and Provisions in Islamic jurisprudence (An analytical objective study)

ABSTRACT

This study provides an overview of smoking, its consequences and its related ruling in Islamic jurisprudence. It is based on an objective scientific method. I have been encouraged to explain this issue because Islamic Sharia illustrates that it is a harmful habit as well as there are mental evidences and medical studies prove that. It entitled (Smoking, its history, its damage and its rule in Islamic jurisprudence). The research consists from an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter speaks about the emergence of smoking, its materials, its reasons and its remedies. The second chapter demonstrates the rule of smoking in Islamic jurisprudence. At the end, the researcher shows most important results and recommendation.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى(صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه الأوفياء الحنفاء وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء وبعد:

لما رأيت بسطاء الناس لا سيما الشباب والمراهقين منهم قد اغتروا بأفة التدخين وأصيبوا بوبائهم، فيتمادون في الاعتياد على تلك العادة المذمومة شرعا وعقلا وطبا، ورأيت كذلك أن المقننين في المجالس التشريعية في العالم الإسلامي عموما وبرلمان إقليم كردستان خصوصا غير مباليين بهذا الجانب الخطير حيث إن جل تشريعاتهم وللأسف بهذا الخصوص لا يرتقي إلى المستوى المطلوب، ولا يواكب وحضارة الإسلام وأدلة التشريع الإسلامي المتعلقة، فحثني ذلك على بيان حكم تلك العادة المذمومة بيانا وافية وإظهار أضرارها المتعددة والمتنوعة الرئيسية والجانبية، مستدلا بأدلة الشريعة الإسلامية وكذلك بالأدلة العقلية، ومعتمدا كذلك على الدراسات الطبية الموثقة بالأدلة والبراهين والحقائق العلمية والتي توصل إليها العلم الحديث إلى حين كتابة هذه الدراسة حيث كانت منتصف عام ألفين وستة، ثم أضفت إليها لاحقا بعض المسائل والمستجدات، فعزمت على بيان المسألة وفق الأدلة والضوابط والأصول الفقهية مع البراهين العقلية رجاء النفع لأهله ودفع الضرر عن أهله، للزجر عن تلك العادة المؤلمة والظاهرة الشنيعة خصوصا في مجتمعنا الكرديستاني والإسلامي عموما، أو محاولة للحد منها، والذي هو (أضعف الإيمان). وقد بحثت من أجل ذلك في أمهات المراجع والفتاوى الفقهية القديمة منها والحديثة، مع الاعتماد على الدراسات الطبية المنشورة في المواقع الالكترونية وكذلك أغنيت بحثي بالمصادر الحديثة المتعلقة بالموضوع.. وقد سميت به (التدخين، تاريخه، أضراره وحكمه في الفقه الإسلامي). وجعلته في مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المبحث الأول فقد تناولت من خلاله تأريخ ظهور التدخين ومواده وأسبابه وعلاجه، وقسمته إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول في مفهوم التدخين وتاريخ ظهوره، والمطلب الثاني في مواده وأسباب انتشاره ومعالجة تلك الأسباب، والمطلب الثالث: في أضرار التدخين والحقائق العلمية المثبتة لها.. وأما المبحث الثاني: فقد ركزت فيه على حكم تعاطي التدخين في الفقه الإسلامي، ويتناول هو الآخر ثلاثة مطالب، المطلب الأول: في حكم تعاطي التدخين من حيث الأدلة العقلية: المطلب الثاني: في حكم تعاطي التدخين من حيث (الأدلة الشرعية): والمطلب الثالث والأخير: في الراجح من تلك الأقوال مع التدليل والتوثيق.. ثم أنهيت البحث بذكر بعض النتائج القيمة التي توصلت إليها وكذلك بعض التوصيات المهمة للفرد والمجتمع والدولة على حد سواء.. راجيا من الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى بيان الحق، وأعتذر عن الزلات، فإن كان حسنا فمن الله تعالى وإلا فمن نفسي، ونيتي والله يعلم مني هي إمطة الأذى عن طريق المسلمين وخدمتهم لما فيه نيل السعادة الأخروية والأبدية والعيش الكريم في الحياة الدنيوية، قال الله تعالى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ⁽¹⁾ والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

المبحث الأول

التدخين، تاريخه، مواده، أسبابه، وعلاجه

المطلب الأول: مفهوم التدخين وتاريخ ظهوره

أولا: مفهوم التدخين: التدخين لغة، (مفرد) مصدر دَخَّنَ يَدَخِّنُ تدخيناً⁽²⁾، واصطلاحا: هو عملية يجري فيها إحراق مادةٍ مُعَيَّنَةٍ، والمادة الأكثر استخداماً في ذلك هي مادة التبغ، التبغ هو نوعٌ من أنواع النباتات في أمريكا، ويحتوي على مادةٍ سامة، ولفظه مأخوذاً من كلمة "تاباغو" المطلق على جزيرة في خليج المكسيك حيثُ وجد لأول مرة فيها، ونُقل منها إلى مختلف أنحاء العالم، وبعد إحراقها يتذوقها الشخص ويستنشقها، ومن أبرز وسائل التدخين شيوعاً في هذا الوقت السجائر

1 سورة يوسف(108).

2 معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار (1/ 731).

سواءً أكانت بإنتاج صناعي أو تلك التي تُلف باليد، كما أنها توجد وسائل وأدوات أخرى للتدخين كالغليون والشيشة⁽¹⁾ ويعتبر التدخين عادة شعبية عامة نجدها في كل أنحاء العالم تقريباً⁽²⁾.
ثانياً: تأريخ ظهوره: وقد ظهر الدخان على الوجه المعروف به اليوم عام 1492م تقريباً حيث رأى بعض البحارة الأسبانيين شجرة الدخان عند اكتشافهم القارة الأمريكية⁽³⁾. وفي أوائل القرن السادس عشر ادخل مكتشفو أمريكا عادة التدخين إلى الحضارة الأوروبية، ومصطلح نيكوتين الذي يتداوله الناس عند التحدث عن التدخين أخذ من اسم جون نيكوت سفير فرنسا في لشبونة والذي دافع عن التبغ وكان يؤكد أن للتدخين فوائد مثل إعادة الوعي وعلاج الكثير من الأمراض. وحتى منذ هذه البداية لم يترك الموضوع دون مقاومة فقد قام كثيرون بمعارضته وخصوصاً (جيمس الأول) في كتابه "مقاومة التبغ" حيث اعتبر التدخين وسيلة هدامة للصحة. أما السجارة التي يعرفها الناس بشكلها الحالي فقد ظهرت في البرازيل عام 1870م، ومن الغريب أن أول إحصائية عن التدخين في الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت في عام 1880 و كان تعداد السكان خمسين مليون فقط ثبت أنهم يدخنون 1,3 بليون سجارة سنوياً وحينما ارتفع عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية إلى 204 مليون ارتفع عدد السجائر المدخنة إلى 536 بليون سجارة سنوياً من هذا يتضح أن السكان زادوا بنسبة 300% أي أن زيادة السجائر أكثر من زيادة السكان 133 مرة⁽⁴⁾.
ثالثاً: أول ظهوره في بلاد المسلمين وأول من منعه: أما أول ما ظهر الدخان في البلاد الإسلامية كان في أواخر المائة العاشرة من الهجرة النبوية، وأول من جلبه للبلاد الإسلامية هم النصارى⁽⁵⁾ وأول من منع التدخين في الأماكن العامة وأصدر مرسوماً في ذلك هو الباشا حسن باشا السلحدار⁽⁶⁾ كافل دمشق وذلك وفي يوم الجمعة العاشر في جمادى الأولى سنة 1111 هـ، وكذلك في يوم الجمعة السابع عشر من رجب، حيث نادى على التبتن لا يشربوه في الأسواق وأن التدخين ممنوع⁽⁷⁾.

المطلب الثاني: مواده وأسباب انتشاره ومعالجته

أولاً: المواد التي يتركب منها: الدخان يتكون مجموعة من المواد السامة وهي:

- 1 - غاز أول أكسيد الفحم. 2-عنصر الرصاص الثقيل السام. 3- مادة البنزوبيرين التي لا خلاف بين الأطباء حول تأثيرها الفعال في ظهور السرطان. 4- النيكوتين وهي مادة سامة جداً لدرجة أن 50 مليغراماً منها تقتل إنساناً إذا حُقن بها دفعةً واحدة في الشريان. 5- عنصر البلونيوم الذي يتركز في رئة المدخن ويفتك بها. 6- القطران: وهي المادة التي تؤدي إلى اصفرار الأسنان. 7- الزرنيج الذي يُستعمل في إبادة الحشرات. 8- كحول ومواد مُطيبة تضيفها المصانع من أجل الاحتفاظ بالرطوبة في التبغ⁽⁸⁾.

ثانياً: أسباب انتشار التدخين: إن أهم العوامل التي تساعد الشباب والمراهقين على التدخين هي:

- 1- تساهل الوالدين: عندما ينغمس الأهل في مثل هذه العادات يصير سهلاً على الولد أن يعتقد بأن هذه السجائر ليست بهذه الخطورة وإلا لما انغمس أهله وأقاربه فيها وبهذا فإن الأهل يشجعون أبنائهم عن سابق إصرار وتصميم على تدخين .

1 ينظر: إتيكيت التدخين"، البوابة، 28-11-2016، بتاريخ 14-3-2017. ويوسف مصطفى سلامة عوض الله (2008)، التدخين وعلاقته بمستوى القلق، وبعض سمات الشخصية للأطباء المدخنين في قطاع غزة، غزة: الجامعة الإسلامية- كلية الدراسات العليا، ص:12. عن دراسة: طارق محمد، لتعريف التدخين وأضراره عن موقع: <http://mawdoo3.com> بتاريخ: 2018/1/9م.

2 التدخين/ عن موقع <http://www.mbwschool.com/essays/smoking.htm>

3. التدخين/ عن موقع: <http://www.khayma.com/fahad.htm> 34/din/1390

4 التدخين/ عن موقع: <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm>

5 التدخين/ عن موقع: <http://www.khayma.com/fahad.htm> 34/din/1390

6 قال القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (5/ 434): (السلاح دار): " وهو لقب على الذي يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه وما هو من توابع ذلك. وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو السلاح، والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك، ويكون المعنى «ممسك السلاح» .

7: يوميات شامية(الحوادث اليومية من تاريخ إحدى عشر وألف ومية). المؤلف: الشيخ محمد ابن كنان 6/1، 45/1، 52/1 عن: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

8 ينظر التدخين بين المؤيدين والمعارضين للدكتور العرموش ص14 وكتاب الأشربة وأحكامها ص393. وينظر: التدخين/ عن موقع: <http://www.khayma.com/fahad.htm> 34/din/1390

2- الرغبة في المغامرة: إن المراهقين يسرهم أن يتعلموا أشياء جديدة وهم يحبون أن يظهروا أمام أترابهم بمظهر المتبحرين العارفين بكل شيء، وهكذا فانهم يجربون أموراً مختلفة في محاولة اكتساب معرفة أشياء عديدة. فيكفي للمراهق أن يجرب السيارة للمرة الأولى كي يقع في شركها وبالتالي يصبح من السهل عليه أن يتناولها للمرة الثانية وهكذا .

3- الاقتناع بواسطة الأصدقاء: الكثير من المراهقين يخشون أن يختلفوا عن غيرهم لاعتقادهم أن هذا من شأنه أن يقلل من ترحيب رفاقهم بهم.

4- توفير السجائر: إن أقرب السجائر تناولا للمراهق هي تلك الموجودة في بيته. (1)

5- عدم وجود هيئة مختصة: من نواة المجتمع المدني تساندها معنويا وماديا جهات مختصة في الحكومة كوزارات الأوقاف والداخلية والصحة وغيرها من أجل الحد من الظاهرة القاتلة والمنع منها و محاربتها كما تحارب المواد المتعلقة بالمخدرات.

6- عدم وجود فتوى شرعية صريح: وأخيرا وليس آخرا فإن عدم وجود فتوى شرعية محدد المعالم من علمائنا الكورد الإجملاء إلى الآن هو الآخر تسبب في انتشار الظاهرة وتمادي الناس في الغي والعمى..

ثالثا: معالجة تلك الأسباب: أما معالجة تلك العوامل فكالآتي:

فينبغي على الوالدين أو لا عدم إهمال المراهق ومراقبته بأسلوب دقيق حكيم، من جميع النواحي، - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبُهَيْمَةُ بَهَيْمَةَ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه): (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (2) وهذه السيطرة للأبوين أو ولي الأمر واجبة لأن الصبي أو المراهق بطبيعة الحال يتطلع دوما إلى الرغبة في المغامرات والأعمال المتهورة.. وعلى ولي أمره كذلك مراقبته كي لا يتقرب من مجالس أصدقاء السوء من الأشرار وأهل الفسوق والضلال، ويحثه بدل ذلك من مجالسة الأصدقاء الأبرار وأهل الصلاح، قال النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) «إِنَّمَا مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ حَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ إِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً». (3)

وكذلك ينبغي لمن يدخل في الأسرة من الكبار إما تركه أو الابتعاد عن الدار وعن الأطفال عند التدخين لأن الصغار عادة موقفهم غالبا المحاكاة حيث يتعلمون من الكبار الخير والشر، ومن ثم فواجب الكبار أن لا يوفرُوا بين أيديهم أسباب الشر أيا كانت، ولذلك قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} (4) وقال (صلى الله عليه وسلم): «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ». (5)

لقد وهب الله (عز وجل) الإنسان إرادة قوية يتجاوز فيها الصعاب ويتسلق بها الجبال ويتقوى بها على كل المغريات... ولكن لا بد لذلك الإنسان أن يتبع الخطوات العملية والعلمية والمنطقية التي تساعده على التخلي عن عادة إدمان سيئة... فالمدخن ليس بالضرورة أن يتم حجره صحيا ليتخلى عن تلك العادة الضارة... فيقليل من الإرادة يستطيع أن يتخلى عنه وبالتالي يحافظ على جسمه معافي وعلى جهازه التنفسي سليما... (6)

ثم لا بد من تشكيل هيئة عاملة من الجهات المختصين تساندها الحكومة والمجتمع المدني ولجان الفتوى الشرعية في مختلف مناطق كوردستان من أجل بلورة قانون حازم للحد من الآفة وفق آلية محددة ومن أجل معالجة المدخنين بأساليب حضارية وعلمية وبالحملة والموعظة الحسنة وتوعية الناس عن آثاره وأضراره.

1 التدخين/ عن موقع <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm>

2 صحيح البخاري كتاب الجنائز برقم (1359) عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه).

3 رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا برقم (2101 و 5534) عن أَبِي كُرَيْبٍ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ. والبيهقي في السنن كتاب البيوع برقم (11456) عن أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه).

4 سورة التحريم(6).

5 صحيح البخاري كتاب الوصايا برقم (2751) عن ابْنِ عُمرَ (رضي الله عنهما) و أطرافه: (893، 2409، 2554، 2558، 5188، 5200، 7138).

6 التدخين/ عن موقع <http://www.mbwschool.com/essays/smoking.htm>

المطلب الثالث: أضرار التدخين والحقائق العلمية المثبتة لها

كان التدخين حتى عام 1940م يعتبر غير قاتل ولكن العلم والبحث الإكلينيكي أثبت بأن التدخين خطر على الصحة حيث تحتوي السجارة العادية الواحدة على حوالي 4000 مادة كيميائية بعضها سام بدرجة كبيرة... وهناك على الأقل 43 من هذه المواد تسبب السرطان... والنيكوتين يعتبر المادة الرئيسية في دخان التبغ وكلاهما سام بدرجة كبيرة، حيث يسبب التدخين أمراضاً خطيرة كثيرة بعضها يؤدي إلى الموت كسرطان الرئة وتصلب الشرايين، والرئة هي مخزن التنفس وهي الجزء الأساسي في الجهاز التنفسي.⁽¹⁾ لذا فإن التدخين له أضرار قاتلة على المدخن نفسه وعلى الآخرين ممن يعيشون معه وعلى البيئة بوجه عام، فقد بين العالم الأفغاني محمد عبد الغفار في كتابه «مصائب الدخان تسع وتسعون» أن الدخان ينجم عنه أمراض مختلفة بيئها الأطباء وبلغ مجموعها تسعة وتسعين مرضاً، وألف فيه علي (افندي) عزت المصري كتابه (مراعاة البراهين في مضار التدخين) نشر في تونس عام 1317 هـ،⁽²⁾ وقد ذكرت (هيئة الصحة العالمية) أن الوفيات الناتجة عن التدخين أكثر من الوفيات الناتجة عن أي وباء آخر⁽³⁾.

وقد أجرى الباحثون والأطباء في الدراسات الحديثة للتدخين أكدوا جملة رهيبه من الحقائق العلمية وعلى النحو الآتي:

أولاً: حقائق علمية عن مفاصد التدخين والأمراض الناشئة عنه:

الحقيقة الأولى: إن التدخين يسبب أنواعاً عديدة من السرطان- أهمها سرطان الرئة- لقد كان سرطان الرئة مرضاً نادراً قبل الثلاثينات حيث كان عدد الإصابات لهذا المرض في الولايات المتحدة الأمريكية يقدر بحوالي 600 إصابة سنوياً وقد ارتفع هذا الرقم في سنة 1977م إلى حوالي 85,000 إصابة وليس هناك من شك أن أهم الأسباب التي أدت إلى هذه الزيادة الهائلة في الإصابات هو التدخين.

ما هي البراهين العلمية التي تثبت أن التدخين يسبب سرطان الرئة؟

1- إن سرطان الرئة مرض نادر جداً بين غير المدخنين. 2- إن نسبة الإصابات تزداد بازدياد عدد السجائر المستهلكة وازدياد مدة التدخين. 3- وتقل هذه النسبة تدريجياً عند الإقلاع عن التدخين مما يثبت العلاقة المباشرة بين التدخين وسرطان الرئة. 4- إن لسرطان الرئة أنواع عديدة، وإن زيادة الإصابات هي نتيجة الزيادة التي حصلت في الأنواع التي يسببها التدخين، أما الأنواع الأخرى التي لا علاقة لها بالتدخين فقد بقيت تماماً كما كانت قبل عصر "أمراض التبغ".
لقد أظهرت الأبحاث العلمية أن دخان التبغ يسبب أمراضاً سرطانية عديدة في أنواع مختلفة من الحيوانات. إن هذه البراهين لا تترك مجالاً للشك بأن التدخين هو من أهم مسببات سرطان الرئة ولكن يجدر بنا أن نوضح أن هناك فرقاً كبيراً بين تدخين السجارة وتدخين الغليون والسجائر، فالسجارة أكثر خطراً. لقد أثبتت الدراسات أن سرطان الرئة أكثر شيوعاً، بالنسبة إلى غير المدخنين، بخمس وعشرين مرة بين مدخنين السجائر وبين 8-9 مرات بين مدخني الغليون و 3-5 مرات بين مدخني السجائر إن سرطان الرئة ليس هو السرطان الوحيد الذي يسببه التدخين - فالتدخين يسبب سرطان الشفة (وخصوصاً بين مدخني الغليون) وسرطانات الفم بما فيها اللسان، وسرطان الحنجرة. كما أن هناك دراسات تدل على أن التدخين هو أحد مسببات سرطان المريء والمثانة.

الحقيقة الثانية: التدخين هو أهم الأسباب التي تؤدي إلى أمراض الرئة المزمنة وغير السرطانية، إنه لمن الواضح علمياً أن التدخين يسبب تغييرات في القصبات الهوائية والرئة تتطور تدريجياً حتى تسبب التهاب القصبات المزمن. يبدأ هذا المرض كسعال بسيط في الصباح لا يعيره المدخن أو حتى الطبيب اهتماماً (سعلة سجارة) ثم تتطور هذه السعلة إلى ضيق النفس والنزلات الصدرية المتكررة والصفير عند التنفس وفي الحالات المتقدمة يصعب على المريض القيام بأي جهد جسدي.. لقد أثبتت دراسات على المراهقين أن أمراض الرئة المزمنة قد تنشأ بعد تدخين 5-10 سجائر في اليوم لمدة عام أو عامين. إن وجود الفلتر ليس ضماناً إذ أن الفلتر الفعال الذي يزيل كل النيكوتين والرماد والزيوت وغيرها من الكيماويات من الدخان

1 التدخين/ عن موقع <http://www.mbwschool.com/essays/smoking.html>
2 ينظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة جمعه ورتبه يوسف البان سركيس: (2 / 1364). التدخين/ عن موقع <http://www.kalemat.org/> =
3 ينظر: التدخين/ عن موقع <http://www.kalemat.org/> =

لا يمكن لهذا الدخان أن يعبره. زيادة على الأمراض الرئوية المزمنة التي يسببها التدخين فهو يزيد بعض الأمراض الرئوية كالربو مثلا ويجعل إصابة الرشح والتهاب القصبات الحاد أكثر حدة... ولا يمكن للطب أن يدرأ سرطان الرئة أو يعالجه - إذ أن أربعة أخماس المرضى بهذا الداء لا يشفون لأن تشخيص المرض عادة لا يكون إلا بعد أن ينتشر السرطان خارج الرئة وليس هناك إلا احتمال 5% في عيش المعالج أكثر من خمس سنوات في الباقي من المرضى الذين يشخصون قبل أن تظهر بوادر انتشار السرطان خارج الرئة.⁽¹⁾

وقد تقدر جمعية السرطان الأمريكية أن السجارات مسؤولة عن أكثر من 400,000 ميّت في الولايات المتحدة كلّ سنة. يقدر عدد موتى سرطان الرئة تقريبا 30 في المئة في الولايات المتحدة وهم من المدخنين أما نسبة الموتى من المصابين بسرطان الرئة فهي تقريبا 90 في المئة، ويعتبر المدخنون في تعرض لخطر زائد من سرطان الحنجرة والتجويف الشفوي، المريء، المثانة والكلى والبنكرياس. ويزيد التدخين من خطر الموت ومن الالتهاب الرئوي المزمن وانتفاخ الرئة وزيادة مضاعفات أمراض القلب وشرابينه. كما يزيد التدخين من حالة السكتة الدماغية بنسبة 50%... إنه يسبب سرطان الفم ويزيد في أمراض الحلق والحنجرة والبلعوم والمريء، وأما نسبة زيادة سرطان الرئة وانتفاخ الرئة فتعتمد على طريقة الاستنشاق وكمية التدخين. حيث يحتوي السجّار ودخان الغليون المركبات السامة والسرطانية وعلى الرغم من ذلك فإن مبيعات السجّار في الولايات المتحدة قد زادت بنسبة 50 في المئة منذ 1993.. وقد نشرت وكالة حماية البيئة EPA في أمريكا بيانا أكدت فيه أن التدخين يسبب حالات سرطان والتهاب رئوي حتى لنسبة من غير المدخنين حيث أكدت الدراسة موت 3000 شخص غير مدخن بسبب استنشاق التدخين لعناصر الدخان السامة... والتدخين لا يؤثر على المدخن فقط فهو يؤثر على أفراد العائلة وخصوصا الأطفال.. فالأطفال الذين يكون أبواهم مدخنين هم أكثر عرضة لأمراض كالإنفلونزا وأمراض الأذن والربو والالتهاب الرئوي... أما الأطفال المولودون من آباء وأمّهات مدخنين يكونون أخف وزنا وأكثر عرضة لأمراض تنفسية وهم أكثر تعرضا لأن يدخنوا في سن المراهقة وعند البلوغ... وهناك علاقة بين التدخين وسرطان الرئة... فالتدخين سبب رئيسي لسرطان الرئة.. فقد لوحظ إحصائياً وجود علاقة مباشرة بين عدد السجّارات التي يتم تدخينها واحتمال الموت من أنواع معينة لسرطانات الرئة. وهذه السرطانات والأورام في الرئة تسببها مادة "الكاركينجن" الموجودة في التبغ. ورغم أن سرطان الرئة مجهول تقريبا لكن الظواهر التي تلاحظ والعلاقة بين المدخن وكثرة السرطانات من هذا النوع تشير إلى أن التدخين هو سبب لذلك... ويؤدي التدخين إلى زيادة الكحة بشكل كبير مما يؤدي إلى مضاعفات كثيرة كالتهاب الجهاز التنفسي... فالمدخن تكاد تخرج روحه حين يكح ليلا وقد يستخرج من فمه نخام أصفر مخلوط بأثر الدخان من صدره وبعض الدم... ويشكل التدخين عاملا محفزا جدا لانتشار الفيروسات في الجهاز التنفسي... فالمدخن يشكل على الأسنان طبقة صفراء تمنع الماء والمعاجين من الوصول إليها وبالتالي تكون تلك الطبقة الصفراء حصنا حصينا لتلك الفيروسات التي ما أن تجد الطريق تهجم على الجهاز التنفسي وعلى الحلق والأسنان وتسبب تسوسها... وهذا الفيروسات بدورها تساعد على نمو البكتيريا في المجرى التنفسي وتؤدي إلى التهاب الرئة التي تصبح صلبة وقاسية.. وحين يحدث الالتهاب الرئوي حين يتسلل الـ bronchi إلى الرئة فيسبب التهابها.. وللعلم فإن الأمراض البكتيرية التي تتم معالجتها بالمضادات الحيوية. لن تستجيب للمضادات الحيوية في حالة المدخن لوجود موانع كثيرة من الوصول إليها... هذا بالإضافة إلى أن التدخين بحد ذاته يكون مهيجا كبيرا لها...⁽²⁾

التدخين السلبي وسرطان الرئة: تؤكد منظمة الصحة العالمية وجود علاقة بين التدخين السلبي وسرطان الرئة. الدراسة قيد البحث دراسة تحكّم حالة على آثار ETS على خطر سرطان الرئة بين السكان الأوربيين. فالمدخن السلبي هو الشخص غير المدخن والذي يفرض عليه استنشاق ذلك السم (الزفير) الذي ينبعث من المدخن وشيء من دخان السجائر المنبعث حين احتراقها... وقد وجدت الدراسة أن كان هناك 16% من الحالات المعرضة لخطر سرطان الرئة بين زوجات المدخنين واللواتي لا يمارسن التدخين. أما في مقرات العمل فكانت نسبة التعرض لسرطان الرئة حوالي 17% في غير المدخنين "الذين يعانون من التدخين السلبي". وتؤكد وكالة حماية البيئة الأسترالية وباعتراف Neil Collishaw بوجود علاقة قوية بين التدخين السلبي الرئيسي وسرطان الرئة وقد تم نشر ذلك في الصحيفة الطبية البريطانية عام 1997. وقد نشرت الآثار

1 التدخين/ عن موقع <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm>
2 التدخين/ عن موقع <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm>

الصحية للتدخين السلبي على الانترنت⁽¹⁾ وقد أبلغت الدراسة الحديثة في صحيفة جمعية الكشف الطبي الأمريكي الدليل المتزايد الذي يربط بين الدخان السلبي وسرطان الرئة. درس الباحثون من بضع مراكز طبية حالة 1093 امرأة مصابة بسرطان الرئة فتبين أن اللواتي أصبن بذلك هن 653 لحالتهن علاقة بالتدخين السلبي. وتبين أن النساء المتزوجات من مدخنين نسبة إصابتهن بسرطان الرئة تفوق المصابات الأخريات المتزوجات من أزواج غير مدخنين تزيد عن 30%. وقد يتأثر حملهن بذلك... لذا نشرت الجمعية تقريرا أعلنت فيه موت 3000 حالة مصابة بسرطان الرئة بسبب التدخين السلبي... ولذا نصحت بـ: تجنب الدخان السلبي بقدر الإمكان، شجع المدخنين ان يحاولوا ان يتوقفوا , لصحتهم وأيضا لك, امنع الأطفال من ان يتعرضوا للتدخين السلبي... وفي دراسة علمية تبين أن جين الكروموسوم يتنشط بمفعول النيكوتين , و يسرع ورم السرطان... وقد نظر الباحثون في جامعة Pittsburgh إلى عيّنات نسيج الرئة من 38 امرأة و 40 رجل , فتبين حالة 58 مصاب بسرطان الرئة , لتحديد سواء كان لديهم نسخة نشيطة للجين ل (gastrin-releasing peptide receptor GRPR) , حيث تبين أن هذا الجين يسرع في نمو الأورام.

ويمكن أن يصنف سرطان الرئة الناتج عن التدخين في 3 أنواع خلوية رئيسية: سرطان خلية الـ squamous و سرطان الخلية الصغيرة و adenocarcinoma. وهذه الأنواع السرطانية تعادل بقوتها ذلك السرطان الناشئ عن التعرض لإشعاع اليورانسيوم، وبذلك فإن للتدخين آثار صحية كثيرة تنعكس سلبا على المدمنين... وقد ثبت علميا نشوء أمراض خطيرة كثيرة ناتجة عن التدخين وأهم هذه الأمراض هي أمراض الجهاز التنفسي وسرطان القلب والرئة... وحتى رياضيا يكون المدخن أبطأ من حيث الحركة والنشاط من غير المدخن... إن التوقف عن التدخين هو أحد أهم الأمور التي تساعد المدخن على استرجاع صحته. فالتدخين عامل كبير للمشاكل الصحية... فكما أسلفت يسبب أمراضا للقلب والسكتة الدماغية وسرطان الرئة والتهاب الجهاز التنفسي بأكمله.⁽²⁾

الحقيقة الثالثة: التدخين يسبب تقلصا في شرايين القلب وهذا بدوره يسبب الذبحة القلبية فالأبحاث الطبية قد أظهرت بشكل غير قابل للجدل التأثير السيئ للتدخين على القلب وشرايينه. إن هذا الضرر يبدأ من تدخين السجارة الأولى حتى ولو لم (يبلع) المدخن الدخان إذ أن مادة النيكوتين تذوب في اللعاب وتمتص بواسطة الدم وتسبب تقلصا واضحا في شرايين القلب وباقي شرايين الجسم... ولقد أثبتت الدراسات الطبية على المتطوعين الأصحاء بواسطة تلوين شرايين القلب أن تدخين أقل كمية ممكنة من التبغ يسبب تقلصا مؤقتا في قطر الشريان وأن التدخين المتواصل والمزمن يسبب بالتالي ضيقا في شرايين القلب, لقد دلت دراسة أجريت في الولايات المتحدة لمدة 20 سنة أن التدخين يزيد نسبة الإصابة بنشاشف الشرايين بحوالي 200% وتخف هذه النسبة تدريجيا بعد التوقف عن التدخين. يجدر بنا أن نشدد على أن التدخين ليس هو السبب الوحيد لنشاشف شرايين القلب - فهناك مسببات أخرى كارتفاع الضغط ووجود زيادة في المواد الدهنية بالدم والاستعداد الوراثي إلا أن التدخين يزيد بشكل واضح خطورة هذه الأسباب. إن الصغار والشباب هم أكثر تأثرا بالتدخين من الكبار إذ أن شرايين قلوبهم تكون (أطرى) وتقلص بقوة أكثر، هؤلاء هم الذين يجب أن نحميهم من مضار التدخين بسرعة ولكن لسوء الحظ هؤلاء هم الأكثر استعدادا للبدء بالتدخين لأسباب نفسية ودعائية تركز عليهم، وهم في العادة أقل حذرا واهتماما بصحتهم من الكبار .

الحقيقة الرابعة: التدخين يؤدي الجنين: التدخين مضر جدا بالجنين. لقد أثبتت الدراسات أن النساء الحوامل المدخنات معرضات بنسبة عالية للولادة قبل الأوان وللإجهاض ولولادة الجنين ميتا ولموت الطفل في الأسابيع الأولى بعد الولادة . كما أظهرت هذه الدراسات بأن تدخين الأم يسبب تقلصا في شرايين الدماغ عند الجنين، فالغاز الموجود في السجائر يمكن أن يعرقل عملية انتقال الأكسجين من الدم إلى الجنين. إذ أن ارتفاع مستوى أول أكسيد الكربون في دماء الأجنة والأطفال المولودين من أمهات مدخنات يضعف من قدرة الدم على نقل الأكسجين (وذلك لأن غاز أول أكسيد الكربون له القابلية والقدرة على الاتحاد بالهيموغلوبين وإضعاف قدرة الأكسجين على ذلك). وتفسر الدراسات أن سبب صغر حجم الأطفال المولودين من أمهات مدخنات يعود إلى عرقلة نقل الأكسجين إلى أنسجة الجنين .

الحقيقة الخامسة: التدخين يساعد على الصلح إلى جانب مضار التدخين الكثيرة فقد اكتشف أن له تأثير أيضا على تساقط الشعر، فالنيكوتين يسرع بالصلح الذي يصيب الكثيرين. اكتشفت إحدى الدراسات أن 75% من الرجال المصابين بالصلح

1 التدخين/ عن موقع: www.who.ch/ntday

2 التدخين/ عن موقع <http://www.mbwschool.com/essays/smoking>

تتراوح أعمارهم بين 21-22 سنة كانوا من المدخنين وأن معظمهم كانوا قد بدؤوا بالتدخين وهم في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة. برغم العوامل الوراثية للصلع فإن المدخنين يفقدون شعرهم بأسرع مما يفقده غير المدخنين.⁽¹⁾ الحقيقة السادسة: التدخين والخصوبة: يعتبر التدخين عامل من العوامل المؤثرة في تأخير الإنجاب وأن لم يكن سببا مباشرا للعقم, بسبب ما يحتويه من مواد سامة تلعب دورا غير مباشرا على الخصوبة والقدرة على الإنجاب وبلوغ المرأة سن اليأس (Menopause) في سن مبكرة. وقد أجريت دراسات إحصائية كثيرة على هذا الصعيد كان من نتائجها أن:-

1- النساء المدخنات يبلغن سن اليأس في وقت أبكر من غير المدخنات. 2- السيدات اللواتي يدخن منذ سن مبكرة (قبل عمر 18 سنة) هنّ عرضة لبلوغ سن اليأس قبل الأربعين بثلاث أضعاف غير المدخنات. 3- تتأثر الأجنة الإناث للأمهات المدخنات سلبيا من حيث الخصوبة وبلوغ سن اليأس المبكر بنفس الطريقة. 4- فرص نجاح عملية أطفال الأنابيب للمدخنات هي نصف النسبة لدى غير المدخنات.

وقد أثبتت الأبحاث بأن المواد السامة التي يحتويها التبغ وخصائصه مثل Nicotine و Anabasine تؤثر على هرمون الاستروجين بالتأثير على تصنيعه وإنتاجه أو بالتأثير على نتائجه لتكون أقل فاعلية, كما أن تلك المكونات السامة تؤثر على قابلية البويضة للتلقيح بحيث تقللها ومن جهة أخرى فإنها تؤدي إلى ارتفاع هرمون FSH والذي يؤدي ارتفاعه قبل البدء ببرنامج التنشيط لعملية أطفال الأنابيب إلى فشل العملية.

وهناك أبحاث كثيرة أثبتت تأثر نسب نجاح عملية أطفال الأنابيب بتدخين الزوجة, وتلخص هذه الأبحاث بالآتي⁽²⁾

1) تأثير النيكوتين على نضوج البويضة والقدرة على حدوث التلقيح وذلك بسبب حدوث اختلالات كروموسومية في البويضة نفسها. 2) التأثير على عدد الحويصلات المنشطة والتي تكون أقل لدى المدخنات. 3) عدد البويضات المستخلصة من الحويصلات بعد عملية السحب كذلك تكون أقل. 4) إمكانية تلقيح البويضات أضعف. 5) المدخنات لديهن احتمالية أعلى لإجهاض الحمل بعد حدوثه من غير المدخنات. كل ذلك بالإضافة إلى ما ذكرنا من ارتفاع هرمون FSH ونقصان هرمون Estradiol واختصار ما ذكر هو أن استجابة المدخنة لتحريض الإباضة تكون أقل, وقابلية البويضة للتلقيح أضعف بالإضافة إلى فرصة ثبات الحمل تكون أضعف كذلك. وللتدخين أثر على قنوات فالوب بتأثيره على الأهداب وبالتالي تأثيره على قدرة القنوات للقيام بوظائفها في نقل البويضة سواء الملقحة أو غير الملقحة. وقد وجدت علاقة بين التهابات الحوض المزمنة (Pelvic Inflammatory Disease) والتدخين فاحتمالية إصابة المدخنات بهذه الأمراض تفوق غير المدخنات بنسبة 70%. وتؤثر المواد السامة على افرازات عنق الرحم, بحيث تستقر خلاصة التبغ في هذه الافرازات الأمر الذي يؤثر على الحيوانات المنوية, نستنتج من كل ما سبق ذكره أن التدخين يؤثر على خصوبة المرأة ويجعلها عرضة للعقم لتأثيره على عنق الرحم, قنوات فالوب, الاتزان الهرموني, وكذلك عجز المبايض المبكر, وفرصة أضعف لنجاح عمليات أطفال الأنابيب. وقد لا تواجه بعض السيدات المدخنات أي مشاكل في الخصوبة بل على العكس فبعضهن لديهن القدرة على الحمل حتى بداية الأربعينات, الأمر الذي يجعلهن يهملن ما سبق ذكره... لهؤلاء نود التحذير بأنه على أثر دراسة قام بها الدكتور (جوناثان نيللي) على فئران المختبر تبين أن المادة السامة (Polycyclic Aromatic Hydrocarbons) التي يحتويها التبغ تعمل على قتل البويضات في مراحل النضوج الأولى لدى أجنة الفئران, كما قام بدراسة تبين خلالها أن أطوار نمو البويضة لدى الفئران هي نفسها لدى أنثى الإنسان وبناء عليه كان هناك دليل واضح على تأثر الأجنة الإناث بالمواد السامة التي يحتويها التبغ من الأمهات المدخنات, فتولد الإناث بعدد أقل من البويضات المختزنة, وبالتالي يكن أكثر عرضة لبلوغ سن اليأس في عمر مبكرة حتى وان لم يكن أنفسهم مدخنات. هذا إضافة إلى الآثار الجانبية المعروفة مثل انخفاض وزن الوليد, وولادة طفل ميت وزيادة نسبة الوفيات لدى الأطفال, بالإضافة إلى مشاكل الجهاز التنفسي بعد الولادة وفي هذه يشترك الآباء والأمهات معا, لذلك اذا كنت تدخين فاقلمي عن التدخين حالا إن لم يكن لأجلك فمن أجل الأجيال القادمة, أما بالنسبة لتأثير التدخين على خصوبة الرجل فقد أجريت أبحاث عديدة على السائل المنوي لرجال مدخنين وغير مدخنين أثبتت التأثير العكسي للمواد السامة في التبغ على الحيوانات المنوية وبالتالي الخصوبة, فقد أثبتت الدراسات على الحيوان والإنسان معا أن التدخين وان كان في المعدل المتوسط يؤثر على عملية إنتاج الحيوانات المنوية والمقاسة بعدد الحيوانات المنوية في السائل المنوي, حيث وجد أن العدد لدى المدخنين أقل من غير المدخنين بما معدله (1 - 17

1 المصدر: التدخين/ عن موقع <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm>

2 المصدر: التدخين/ عن موقع www.layous.com

(%) إلا أن هذا التناقض يمكن تفاديه في حال التوقف عن التدخين، وعندما نركز الحديث على عدد الحيوانات المنوية فإننا لا نهدف فقط لرفع فرص الحمل بزيادة خصوبة الرجل وإنما كذلك تقليل فرص الاجهاضات والمشاكل المصاحبة للمواليد، حيث وجد أنه إذا كان عدد الحيوانات المنوية في السائل المنوي أكثر من (80) مليون فإن فرصة حدوث مشاكل لدى المواليد تنقلص من (6%) لمن لديهم العدد أقل من ذلك إلى (1%). كما أن فرصة الإجهاض تصبح (6%) في حين تكون (12%) لدى البقية.

أما عن الأشكال الطبيعية في الحيوانات المنوية فإن نسبة الأشكال الغير طبيعية لدى المدخنين تفوق نظيرتها لدى غير المدخنين وخصوصا تشوهات الرأس، كما يوجد زيادة في عدد الكريات الحمراء والبيضاء في السائل المنوي والتي توحى بالتهابات المجاري التناسلية التي بدورها تؤثر على نقل الحيوانات المنوية في الأنابيب الناقلة، هذا إلى جانب التأثير على قدرة الحيوانات المنوية على الحركة.⁽¹⁾

ثانياً: أمراض أخرى ناجمة عن التدخين:⁽²⁾ إلى جانب تلك الحقائق العلمية فقد يتسبب التدخين إلى أمراض أخرى قاتلة، أثبتتها التجارب العلمية الطبية من ذلك:

1- أنه يؤدي إلى الأرق والتوتر والاكتئاب. 2- يضعف الأعصاب، وقد يصاب المدخن بشلل الأعصاب. 3- يضعف الذاكرة ويوهن النشاط الذهني. 4- يضعف حاسة الشم والذوق. 5- يضعف البصر نتيجة دخان المتصاعد. 6- يزيد عدد ضربات القلب. 7- يؤدي إلى تصلب الشرايين بما فيها شرايين القلب. 8- يؤدي إلى جلطات أو عية المخ الدموية. 14- يؤدي إلى الإصابة بالذبحات الصدرية. 9- يؤدي إلى الإصابة بارتفاع ضغط الدم. 10- يؤدي إلى الإصابة بفقدان الشهية. 11- يؤدي إلى الإصابة بالاضطرابات الهضمية والإسهال والإمساك. 12- يؤدي إلى الإصابة بالوهن والضعف العام. 13- يؤدي إلى الإصابة بسرطان الشفة واللسان والفم والبلعوم والمريء والبنكرياس. 14- يؤدي إلى الإصابة بقرحة المعدة والاثني عشر. 15- يؤدي إلى الإصابة بمرض الضمور الكبدية. 16- يؤدي إلى الإصابة بسرطان المثانة وقرحة المثانة. 17- يؤدي إلى الإصابة بسرطان الكلى. 18- يؤدي إلى التسمم البولي. 19- التدخين السلبي يضعف ذكاء الأطفال. 20- التدخين السلبي يزيد من خطر إصابة الأطفال بالتهابات الأذن. 21- المدخن يضر زملاءه في العمل. ويقول الباحثون: إن الموظفين غير المدخنين الذين يتعرضون لدخان سجائر زملائهم يقطعون عن العمل لأسباب صحية أكثر من أقرانهم في أماكن العمل التي يحظر فيها التدخين. وقد تدفع هذه الدراسة إلى تزايد المطالبة بتشديد الرقابة على التدخين داخل أماكن العمل. وشملت الدراسة التي نشرتها مجلة "الأوبئة والصحة العامة" عدداً كبيراً من رجال الشرطة في هونج كونج لم يعرف خمسة آلاف منهم التدخين طوال حياتهم. وتوصلت إلى أن غير المدخنين الذين تعرضوا لدخان سجائر زملائهم لأكثر من سنة حصلوا على إجازات مرضية تقدر بضعفي ما حصل عليه أقرانهم المدخنون. ويحتاج المبتلون بدخان غيرهم علاجاً لأمراض الجهاز التنفسي يتجاوز بكثير ما يحتاجه أمثالهم من العاملين في أماكن عمل يمنع فيها التدخين.⁽³⁾

ثالثاً: تأثيراته السلبية على الصحة العامة وحقوق غير المدخنين:

لا يعقل أن يوجد في هذا العالم إنسان يضر والديه وزوجته وأولاده ويساهم في إصابتهم بأمراض لا حصر لها، إلا أن ما يسببه المدخن من أمراض على ذويه وأهله، ومن يعيش معه يؤدي إلى وضع حقيقة أثبتتها عدد من الأبحاث العلمية؛ وهي أن هذا الشخص قد ساهم وبشكل مباشر على إلحاق الأذى بمن يعيشون حوله، ويتنفسون يوماً باليوم السموم التي يبثها في وجوههم، تلك الحقيقة التي تجعل هذا المدخن مسؤولاً أمام الله أولاً، ثم أمام القانون عن أذيته المستمرة لأهله وزملائه، تلك المسؤولية التي جعلت إحدى المحاكم الأمريكية بنيويورك أن تخير سيدة بين العيش مع ابنها أو التوقف عن تدخين 20 سيجارة يومياً، دأبت تلك السيدة على تدخينها، وفي موضوعنا هذا نتناول أهم الأمراض التي تصيب المتعرضين للأبخرة المتصاعدة من أفواه المدخنين.. ويطلق مصطلح "التدخين السلبي" أو "التدخين الغير إرادي" involuntary or passive second hand smoking. على الناس الذين لا يدخنون، ولكن يتعرضون وبشكل يومي للغازات والمواد المنبعثة من تدخين السجائر من زملائهم في العمل، أو تعرض الأسرة عندما يكون أحد أفرادها يدخن، أو في الأماكن العامة مثل وسائل النقل العامة وغيرها... يحتوي تمباك السجائر على أكثر من 4000 مادة كيميائية على شكل غازات و مواد معظمها سام

1 التدخين/ عن موقع www.layyous.com.

2 المصدر التدخين/ عن موقع: http://www.islamtoday.net/articles و موقع: www.kalemat.org/3

3 التدخين/ عن موقع: //www.islamtoday.net

ومضر بصحة الجسم، و لا توجد كل هذه المواد في الدخان الذي يستنشقه المدخن فحسب؛ بل وفي الدخان المنبعث منه أثناء الزفير، والذي يجد طريقه إلى المجاري التنفسية لعشرات الناس الذين يجلسون أو يعيشون معه، كما تبقى هذه الغازات لفترة متطايرة في فناء الغرفة، بحيث تؤثر في صحة الجسم حتى في غياب المدخن. ومن أهم هذه المواد السامة: النيكوتين، البنزين، أول أكسيد الكربون، الأمونيا، السيانيد وأكثر من 60 مادة سرطانية (أي تسبب السرطان).⁽¹⁾ لذلك فالتدخين يعد خطرا فادحا على صحة المجتمع العامة. وانطلاقا من تعريف منظمة الصحة العالمية "الصحة" وهو: "إن الصحة ليست فقط هي الخلو من المرض ولكن وجود سلامة نفسية وعقلية واجتماعية" فإن التدخين يجب أن لا يسمح في الأماكن العامة أيضا، فخلال مدة اشتعال السجارة ينتشر معظم الدخان مباشرة إلى الجو المحيط... وبعد مناقشة طويلة للمحتويات الضارة لدخان التبغ فقد وجد أن أربعة فئات من الناس سوف يتعرضون لإضرار وخيمة من جراء استنشاق ذلك الدخان وهم:

1- مرضى الحساسية والربو: يتأثر هؤلاء المرضى بدخان التبغ بطريقتين أولهما أن الدخان له تأثير ملهب للجهاز التنفسي بصورة عامة والثانية أن له تأثير منبه لإفراز نوع خاص من مضادات الأجسام هو (IgE) كما وان التعرض لنتاج حرق التبغ يسبب التهاب الملتحمة، السعال، العطاس، الصداع .

2-الرضع والأطفال:أوضحت التقارير الواردة أيضا أن تأثير التبغ على البالغين أقل بكثير من ما يسببه من أضرار على الأطفال منهم. فالمولود الصغير والطفل حساسين جدا لدخان التبغ..وبذلك فإن الأضرار تظهر عليهم بصورة جلية ومبكرة جدا، وقد أثبتت الدراسات الواقية لهذا الموضوع أن المواليد الذين تمارس أمهاتهم عادة التدخين اكثر مراجعة للمستشفى بشكوى الالتهاب الرئوي والتهاب الشعب الهوائية من أولئك الذين لا تمارس أمهاتهم هذه العادة. وأوضحت دراسات أخرى أن فرص التعرض للالتهاب الرئوي والتهاب الشعب الهوائية تكون الضعف إذا كان كلا من الأب والأم من المدخنين، ودراسات أخرى توضح أن أعراض الجهاز التنفسي لدى الأطفال تتناسب طرديا مع كمية دخان التبغ الموجود في بيئة الطفل. كما يصاب الأطفال المتعرضين لدخان التبغ بزيادة في سرعة دقات القلب وارتفاع في ضغط الدم .

3-مرضى القلب والرئة: المجموعة الثالثة من غير المدخنين "مهضومي الحقوق" هم المصابون بأمراض القلب أو الرئة المزمنة. فاحتراق التبغ ينتج عنه أول أكسيد الكربون الذي يتحد مع الأكسجين، ونتيجة لذلك فإن قلب و رئة المتعرض لدخان السجائر سوف يعمل بصعوبة فائقة للتخلص من تكون كربوكسيهيموغلوبين Carboxyhemoglobin وسيكون لذلك تأثير كبير على المريض بالذبحة الصدرية وسوف يساعد ذلك زيادة في معدل التنفس وسرعة القلب لمقاومة ذلك التأثير مما يجهد المريض ويزيد علته سوء .

4-مستخدمي العدسات اللاصقة: عند تعرض شخص يلبس العدسات اللاصقة لدخان التبغ فإنه يصاب بحرقان شديد وإفراز للدموع. وقد ثبت ذلك على كثير من هؤلاء الأشخاص مستخدمي العدسات اللاصقة.⁽²⁾

المبحث الثاني

حكم تعاطي التدخين في الفقه الإسلامي

المطلب الأول: حكم تعاطي التدخين من حيث الأدلة العقلية

لا شك أن التدخين لما فيه من المضار الواسعة القاتلة والتي دللنا أنفا وأوردنا الإثباتات العلمية الطبية عليها فإن العقل السليم يحكم دون تردد بالمنع والاشمئزاز، فليس من عصر كثرت فيه التجارب كعصرنا هذا وكان الإنسان قد أصيب بهوس التجارب وعدواها في كل ما يمت إلى حياته بصلة، وقد تكون هذه التجارب مجرد واجهه أو مدخلا شرعيا لممارسة كافة الرغبات والأهواء على اختلاف أنواعها وشذوذها حتى تتحول تلك التجارب أخيرا إلى عادة مستحكمة ظالمة تقود الإنسان حسب هواها ورغباتها، وأكثر ما ينطبق ذلك على عادة التدخين التي تحكمت بعقول الناس على اختلاف ملهم وعلمهم ومشاربهم.. فإن عادة التدخين آفة حضارية كريهة أنزلت بالإنسان العليل والأمراض كتأثيرها السيئ على الغدد

1 المصدر: التدخين السلبي وأضراره على جسم الإنسان، د. جمال عبدالله باصهي* 1424/7/18 هـ - 2003/09/15،* بكالوريوس أمراض باطني دكتوراه في أضرار التدخين مدرس الفسيولوجيا بكلية الطب جامعة حضرموت،

نقلا عن الموقع: www.islamtoday.net

2 المصدر التدخين/ عن موقع: <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm>

الليمفاوية والنخامية والمراكز العصبية وتأثيرها الضار على القلب وضغط الدم والمجاري التنفسية والمعدة والعضلات والعين الخ... إنها تجارة العالم الرابحة ولكنه ربح حرام قائم على إتلاف الحياة وتدمير الإنسان عقلا وقلبا وإرادة وروحا. والغريب أن الإنسان لجهله أو تجاهله يقبل على شراء هذه السموم الفتاكة بلهفة وشوق لما تحدثه في كيانهم من تفاعل غريب تجعله يلح في طلبها إلى أن تقضي عليه، ولا شك أن إغراءات الأصدقاء الواقعين تحت تأثير هذه العادة هي التي تعمل على إدخال البسطاء إلى عالمها الزائف الخادع حيث لا يتمكن أي منهم من التخلص منها إلا بعد شق النفس هذا إذا قدر له الخروج. وكان الإنسان يظن انه يجد في هذه السموم ملاذا من همومه الكثيرة يهرب إليها في الشدائد والملمات، وهو لا يدري أن من يهرب إلى سم التبغ هو كمن يستجير من الرمضاء بالنار، لأنه بذلك يستنزف قواه ويقضي على البقية الباقية من عاقبته. كأنك أيها الإنسان لا تعلم أنك بذلك تسير إلى طريق التهلكة والخراب وأن السعادة لا تكون في الركض وراء أو هام خادعة، إنها لا تكون بتغييب العقل وحجبه عن أن يكون قوة فاعلة يهديك سواء السبيل، إن السعادة هي في تحاشي الأخطار ومجابهة التحديات وتنبيه القوى الخيرة في الإنسان، إنها في الإرادة الصلبة والتنزه عن المطالب الخسيسة والانتصار على الضعف والوهم، إنها في الحفاظ على الصحة وعلى القوة العقلية والبدنية لإبقائها صالحة لمواجهة الملمات عوضا عن هدرها سدا وتبيدها فيما لا طائل ورائه.

إن العاقل يسهر على إصلاح نفسه وليس من يتبع سبيل الخطأ بحجة أن الأكثرية تسير في هذا الاتجاه، وقد قال (ص): « لا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا وَإِنَّ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظَلَمُوا»⁽¹⁾ وظلم الشخص لنفسه أعمق جرحا وأشد جرما وصاحبه أغفل نفسا! والجاهل هو من لا يملك التفكير الصائب للحكم على الأمور فتَهون عليه نفسه وصحته، إن من يبيح لنفسه إتلافها بكل وسيلة رخيصة لمجرد أن فيها لذة مزعومة هو إنسان فقد مقومات الإنسانية، انه إنسان يستحق الرثاء بعد أن ازداد خطر التدخين لا سيما في صفوف الشباب والمراهقين وطلاب المدارس والجامعات واستفحال خطره على الصحة بالحقائق والأرقام - لا بالعواطف والانفعالات - فالصحة هي الرصيد الحقيقي لكل دولة يحق لها أن تفتخر بنفسها وبمنجزاتها.⁽²⁾ قال تعالى { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }⁽³⁾.

المطلب الثاني: حكم تعاطي التدخين من حيث (الأدلة الشرعية)

لما كان التدخين من الأمور المستجدة والبدع المستحدثة حيث إن تاريخ وجوده في بلاد المسلمين حادث كما أسلفنا، ولما لم تكن البراهين العلمية والإثباتات الطبية متوفرة لدى علماء المسلمين، إلا في الأونة الأخيرة حيث التقدم العلمي في جميع مجالات الحياة..

فقد اختلف العلماء لا سيما القدامى منهم في حكم تعاطي التدخين إلى ثلاثة آراء:

أولاً: القائلون بالكراهة فقط: استند هؤلاء إلى ما يأتي من الأدلة:

أ- أنه لا يخلو من نوع ضرر ولا سيما الإكثار منه مع أن القليل يجر إلى الكثير.

ب- النقص في المال كان يمكن إنفاقه فيما هو خير منه وأنفع لصاحبه والناس.

ج- نتن رائحته التي تزجج كل من لم يألفها وتؤذيه.

د- إخلاله بالمروءة.

هـ- يشغل عن أداء العبادة على الوجه الأكمل.

و- من اعتاده قد يعجز في بعض الأيام عن تحصيله فيتشوش خاطره لفقده.

ز- ومثل ذلك إذا كان في مجلس لا ينبغي استعماله فيه، وهذه هي خلاصة أدلة القائلين بالكراهة.

قال الشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة المتوفى سنة (1367هـ) في حاشيته: تهذيب الفروق والقواعد السننية في الأسرار الفقهية ما نصه: " قال اللكنوي ورأيت في تنقيح الفتاوى الحامدية للعلامة ابن عابدين ما نصه: (مسألة) أفتى أئمة أعلام بتحريم شرب الدخان المشهور فهل يجب علينا تقليدهم وإفتاء الناس بحرمة أم لا؟ فلنبين ذلك بعدما حققه أئمة أصول الدين، قال شارح منهاج الوصول إلى علم الأصول للإمام أبي عبد الله بن أبي القاسم بن عمر

1 سنن الترمذي كتاب البر والصلة برقم(2138) عن حُدَيْفَةَ (رضي الله عنه).

2 المصدر: التدخين/ عن موقع/ <http://www.sehha.com> وينظر كذلك: موقع <http://www.kalamat.org>

3 (سورة الحشر:2).

البيضاوي: ويجوز الإفتاء للمجتهدين بلا خلاف وكذا المقاد المجتهد واختلف في جواز تقليد الميت المجتهد فذهب الأكثرون إلى أنه لم يجز والمختار عند الإمام والقاضي البيضاوي الجواز واستدل عليه الإمام في المحصول بانعقاد الإجماع على جواز العمل بهذا النوع من الفتوى إذ ليس في زمانه مجتهد اهـ وكلام الإمام صريح في أنه لم يكن في زمانه مجتهد فكيف زماننا الآن فإن شروط الاجتهاد لا تكاد توجد فهؤلاء الأئمة الذين أفتوا بتحريم التنباك إن كان فتواهم عن اجتهاد حتى يجب علينا تقليدهم فاجتهادهم ليس بثابت فإن كان عن تقليد غيرهم فإما عن مجتهد آخر حتى سمعوا من فيه مشافهة فهو أيضا ليس بثابت وإما من مجتهد ثبت إفتاؤه في الكتب فهو أيضا كذلك إذ لم يرد في كتاب ولم ينقلوا عن دفتر في إفتائهم ما يدل على حرمة فكيف ساع لهم الفتوى وكيف يجب علينا تقليدهم والحق في إفتاء التحليل والتحرير في هذا الزمان التمسك بالأصليين اللذين ذكرهما البيضاوي في الأصول ووصفهما بأنهما نافعان في الشرع:

الأول: أن الأصل في المنافع الإباحة والمأخذ الشرعي آيات. الأولى: قوله تعالى: {خلق لكم ما في الأرض جميعا} (1)، واللام للنفع فتدل على أن الانتفاع بالمنتفع به مأذون به شرعا وهو المطلوب. الثانية: قوله تعالى {من حرم زينة الله التي أخرج لعباده} (2)، والزينة تدل على الانتفاع. الثالثة: قوله تعالى {أحل لكم الطيبات} (3)، المراد بالطيبات المستطابات طيبعا، وذلك يقتضي حل المنافع بأسرها.

والثاني: أن الأصل في المضار التحريم والمنع لقوله (عليه الصلاة والسلام): «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» وأيضا ضبط أهل الفقه حرمة تناول إما بالإسكار كالبنج وإما بالإضرار بالبدن كالتراب والترياق أو بالاستنقار كالمخاط والبزاق وهذا كله فيما كان طاهرا وبالجملة إن ثبت في هذا الدخان أضرار صرف عن المنافع فيجوز الإفتاء بتحريمه وإن لم يثبت أضراره فالأصل الحل مع أن الإفتاء بحله فيه دفع الحرج عن المسلمين فإن أكثرهم مبتلون بتناوله فتحليله أيسر من تحريمه «وما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين شيئين إلا اختار أيسرهما» وأما كونه بدعة فلا ضرر فإنه بدعة في تناول لا في الدين فإثبات حرمة أمر عسير لا يكاد يوجد له نصير نعم لو أضر ببعض الطيبات فهو عليه حرام أو نفع ببعض وقصد التداوي فهو مرغوب هذا ما سنع في خاطر إظهارا للصواب من غير تعنت ولا عناد في الجواب كذا أجاب الشيخ محيي الدين أحمد بن محيي الدين بن حيدر الكردي الجزري - رحمه الله تعالى - اهـ كلام ابن عابدين (4). ثم قال: "ولا يبعد أن يقال بمنع من يعتاد كثرة شرب الدخان كآكل البصل والثوم من دخول المسجد لوجود الرائحة الكريهة في فمه والملائكة تتأذى منها اهـ كلام الكونوي. وبالجملة فمن عافاه الله من شربه واستعماله بوجه من الوجوه لا ينبغي له أن يحمل الناس على مختاره، فيدخل عليهم شغبا في أنفسهم وحيرة في دينهم إذ من شرط التغيير أن يكون متفقا عليه، قال عياض في الإكمال ما نصه: لا ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يحمل الناس على مذهبه، وإنما يغير ما اجتمع على إحداثه وإنكاره اهـ وقال الشيخ محيي الدين في منهاجه: أما المختلف فيه فلا إنكار فيه وليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نص القرآن أو السنة أو الإجماع ونحو هذا في جامع الذخيرة للقرافي ونحوه في قواعد عز الدين قال شيخ الشيوخ ابن لب لا سيما إن كان الخلاف في كراهية لا في تحريم فإن الأمر في ذلك قريب وربما يؤول الإنكار إلى أمر يحرم اهـ وقد نقل (البرزلي) في (نوازل) كلام (ابن لب) معزوا لبعض الشيوخ ورشحه أفاده المواق في شرحه على خليل فتأمل بإنصاف ولا تنظر لمن قال بل لما قال كما هو دأب الرجال (5).

ثانيا: القائلون بالإباحة: قالوا أن الأصل في الأشياء الإباحة، ودعوى أنه يسكر أو يخدر غير صحيحة، لكن من لم يعتده يحصل له إذا شربه نوع من غثيان وهذا لا يُوجب التحريم. هذا ما ذهب إليه في زمانه الشيخ عبد الغني النابلسي وآخرون (6) لكن أدلة هؤلاء تكاد تكون معدومة، وكان قبل ظهور الإجماع علماء الطب على أضرار التدخين القاتلة.. وقد جعل (عبد الله عزام) التدخين من جملة الجزئيات التي الأولى عدم متابعتها فقال " وفي هذا الوقت فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا

1. (سورة البقرة: 29).
2. (سورة الأعراف: 32).
3. (سورة المائدة: 4).
4. تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية للمفتي محمد المالكي (1/ 220).
5. المصدر نفسه: (1/ 221).
6. ينظر حاشية ابن عابدين الحنفي على در المختار للحصكفي: (5/ 326).

الدين في سلوك الناس، كالشرب باليمين، وترك التدخين، والشرب جالسا، إلى غير ذلك من هذه التفاصيل التي لا تحتملها ولا تطبيق الدوام عليها إلا نفوس بنيت على العقيدة، وجبلت بعظمة الإيمان⁽¹⁾.
ولا أرى أنه قصد بذلك إباحتها للناس كما يخلو ذلك للبعض، بدليل قوله " أن الحكم الصارم في هذه الجزئيات إنما يتقبلها النفوس المبنية على العقيدة الإسلامية المجبلة بعظمة الإيمان "

ثالثا: القائلون بالتحريم مطلقا. وهؤلاء هم الجمهور الأعظم من العلماء لا سيما المعاصرين منهم وقد استدلوا بأدلة كثيرة عقلية ونقلية، أما الأدلة العقلية فقد بينها سابقا، وأما الأدلة النقلية فقد قالوا أنه من المعلوم أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بأصول عامة تدرج تحتها فروع كثيرة فاستدل علماء الإسلام رحمهم الله تعالى بهذه الأصول العامة على تحريم الدخان لإدراجه تحتها؛ والأصول المشار إليها إما آيات قرآنية وإما أحاديث نبوية، واستنباطاً من فتاوى العلماء القدامى في تحريم الحشيشة. ولضيق المجال نذكر أسماء بعض القدامى والمعاصرين من العلماء الذين حرّموا التدخين. من القدامى عن الشافعية: ابن علان الصديقي الشافعي وله رسالتان في تحريمه، وعبد الرحيم الغزي؛ وإبراهيم بن جمعان؛ وتلميذه أبو بكر الأهدل؛ والفليوبي؛ والبجيرمي؛ وغيرهم. عن المالكية: عبد الرحمن الفاسي؛ وإبراهيم اللقاني؛ وشيخه سالم السنهوري؛ وغيرهم. عن الحنفية: محمد العيني وله رسالة في تحريمه؛ ومحمد الخواجة؛ وعيسى الشهاوي؛ ومكي بن فرّوخ؛ وسعد البلخي المدني؛ وعمر بن أحمد المصري وأبو السعود مفتي إسطنبول وغيرهم.⁽²⁾

وأما العلماء المعاصرون: إن لم نقل كلهم فإن جل علماء هذا العصر المعترفة أقوالهم عند أهل السنة والجماعة قد حرّموا شرب الدخان والاتجار به والإعانة عليه، وهذه بعض أسمائهم: أحمد البهوتي (المصري) والقشاش (المغربي) ونجم الدين (الدمشقي) وعبد الملك العصامي (الحجازي) وتلميذه محمد بن علامة؛ وعمر البصري.⁽³⁾ وعلماء الجزيرة العربية بأجلهم منهم محمد بن إبراهيم مفتي السعودية سابقاً؛ وعبد الرحمن السعدي؛ وأبو بطين؛ وسفر الحوالي وسلمان العودة - حفظهما الله وغيرهم كثير. ومن مشايخ الأزهر محمود شلتوت (مع أنه مما يذكر أن الشيخ كان مبتلى بالتدخين منذ عهد الشباب ولكن لإنصافه رجح قول المحرمين)؛ ومصطفى الحمادي في كتابه «النهضة الإصلاحية»؛ والشيخ كشك رحمه الله تعالى في فتاويه، وجاء في خلاصتها: «..وبعد فهذه مقتطفات من كلام الأطباء في أضرار الدخان طبيياً وبعض كلام العلماء في بيان حكم تعاطيه شرعاً، فهل يليق بمنصف بعد هذا أن يتردد في تحريمه والمنع منه؟ اللهم إلا مكابراً لا عبرة به ولا بقوله». ⁽⁴⁾ وجاء في فتاوى مفتي الديار المصرية ما نصه " أما التدخين في حد ذاته فيتلخص حكمه في أنه حرام إن حصل منه ضرر كبير على الصحة والمال،⁽⁵⁾ ولا شك في وجود الضرر الكبير على الصحة والمال والبيئة والنفس و... الخ. وممن أفتى بحرمته كذلك من الحنفية الإمام محمد بن عبد الله الطرابيشي، الحنفي الشهير بالمسوتي الفقيه الصوفي الأديب. وصنف فيه: تبصرة الاخوان في بيان اضرار التبغ المشهور بالدخان، ومنظومة عقود الجواهر الحسان في بيان حرمة التبغ المشهور بالدخان، والايضاح والتبيين في حرمة التدخين.⁽⁶⁾

المطلب الثالث: الراجح من هذه الأقوال مع الأدلة والتوثيق

إن الصحيح من هذه الأقوال والذي ترتاح إليه النفس وتطمئن له هو ما ذهب إليه جمهور هؤلاء العلماء وهو التحريم لشربه وبيعه وشراؤه ولو كان للغير، وخصوصاً (للجيل الناشئ من الذين لم يدمنوا بعد على تعاطيه) وذلك لقوة ما استدلوا عليه من الأدلة القوية الثابتة بالكتاب والسنة، ولقوة القواعد الأصولية التي اعتمدوا عليها. ولأن الذين ذهبوا إلى الكراهة فقط قد اختلفوا في هذه الكراهة هل هي كراهة تحريمية أم تنزيهية، فمهما تكن فإنه من المقرر عند علماء الأصول أن الإصرار على الصغائر يقرب إلى الكبائر؛ فبناء على هذه القاعدة نقول أن القول بكراهيته يعود في النهاية للحكم بتحريمه. وقد يستنتج من التحريم المباشر من ابتلي به فأصبح مدمنا عليه بحيث إذا تخلى عنه بالكلية ربما فقد عقله أو أصيب بعاهة كفقْدان البصر أو الشهية أو مرض أشد، حينئذ فالفتوى بخصوصه هو لزوم الترك بصورة تدريجية والله أعلم.

1: العقيدة وأثرها في بناء الجيل: الدكتور عبد الله عزام: (17/1).

2 ينظر: حكم الدين في اللحية والتدخين لعلي عبد الحميد ص48-49

3 ينظر: الفواكه العديدة (2/ 80-82).

4 ينظر: فتاوى محمود شلتوت (25/2).

5 فتاوى الأزهر، حكم التدخين، المفتي عطية صقر 481/8 مايو 1997 عن: موقع وزارة الأوقاف المصرية

<http://www.islamic-council.com>

6 ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة 221/ 10.

ومن تلك الأدلة على ترجيح التحريم شرعا ما يأتي:

- 1- قوله تعالى في وصف نبيه (صلى الله عليه وسلم) أنه {.. يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث..} (1) والتدخين ليس من الطيبات بل هو من الخبائث دون ريب فإنه خبيث، ومنتن،!
- 2- وقوله تعالى: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} (2)، والتدخين فيه من التبذير والسرف ما لا يحصى.. وقال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (3) فالتدخين يسلب عن المساجد زينتها وهو إسراف، والله تعالى لا يحب المسرفين، وإذا كان الإسراف في الأكل والشرب حراما فما بالك بما هو ليس بطعام ولا شراب!؟
- 3- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (4) والتدخين قتل تدريجي للنفس ومن أسباب الوفاة كما سبق بيانه.
- 4- قوله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (5) والتدخين إلقاء النفس إلى المهالك والمصائب والهاوية.
- 5- قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} (6) {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِجَابِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (7)، ولا تسمية عند التدخين بل لا يستطيع أحد ذلك بقناعة ويقين، لأنه يعرف أن التدخين من الخبائث.
- 6- قوله تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ نَّارٍ} (8) فالدخان مضر من الجانب الروحي بالإنسان لأنه يبعده عن عالم النور والملائكة، و يقربه من عالم الجان والشياطين.
- 7- قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (9) والتدخين قد يزيل بين الزوجين أواصر المحبة والمودة والصحة والمعايشة الحقيقية..
- 8- قوله تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (10) والتدخين إعاقة على الإثم والعدوان، فأين البر وأين التقوى فيه؟
- 9- أنه إعاقة لأعداء الإسلام على المسلمين وتقوية لهم، لأن المسلم بتعاطيه له يصاب بالأمراض والوهن ويفقد عنصر المقاومة والدفاع والجهاد إلى حد خطير، وقد مدح تعالى المؤمنين الأقوياء بقوله {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُومٌ} (11) وقال النبي (ص): « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أَحْرَصٌ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَلَا تَعْجِزْ ». (12)
- 10- قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (13) ولا شك بأن التدخين مضیعة للوقت، ذلك النعمة العظيمة التي أنعمها الله على الإنسان كي يغتنمها..
- 11- قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (14) فالتدخين يجعل صاحبه قدوة سيئة لأبنائه فيقلدونه في تعاطيه فيتجهون إلى البدع والمنكرات بدل إنتهاج سنن سيد الأبرار (صلى الله عليه وسلم).

- 1 سورة الأعراف(157).
- 2 سورة الإسراء. (26) (27)
- 3 سورة الأعراف(31).
- 4 سورة النساء(29).
- 5 سورة البقرة(195).
- 6 سورة الأنعام(119).
- 7 سورة الأنعام(121).
- 8 سورة الرحمن(15).
- 9 سورة الروم(21).
- 10 سورة المائدة. (2)
- 11 سورة الصف(4).
- 12 (سنن ابن ماجه كتاب الزهد برقم (4307) عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
- 13 سورة العصر (1) - (3).
- 14 سورة الأحزاب(21).

- 12 - قوله تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُجْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} ⁽¹⁾ فالتدخين يدل على خفة العقل؛ لأن العاقل لا يرتكب شيئاً يتيقن ضرره.
- 13 - قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} ⁽²⁾ وقوله {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} ⁽³⁾ والتدخين لا شك يتقل على متعاطيه العبادات والطاعات، ويسبب الخمود والجمود حتى يصبح أسيراً عن أداء الواجبات الدينية وكذلك الدنيوية بتلك القيود..
- 14 - إنه يزدهد في مجالس العلم والذكر. وقد قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} ⁽⁴⁾ وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} ⁽⁵⁾ وقال تعالى {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} ⁽⁶⁾.
- 15 - أنه يدعو إلى مخالطة الأشرار والأنذال، واتخاذ الفساق والكفار أصدقاء من دون المؤمنين. وقد قال تعالى {وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَنسَبْكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ} ⁽⁷⁾ وقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} ⁽⁸⁾ وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} ⁽⁹⁾.
- 16 - الصوم واجب وركن من أركان الدين قال تعالى {شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} ⁽¹⁰⁾ فأن التدخين كثيراً ما يتسبب في ترك الصيام إما لكون المدخن مريضاً بسبب التدخين أو لأنه صار مدمناً به لا يقدر على تركه فيترك بدل ذلك الصوم ! حتى وإن صام قلبه في النهار و على الدوام متعلق بالدخان والسيجارة بدل طاعة الله وتلاوة القران، وفي الليل منشغل بالتدخين بدل إحياء ليالي رمضان المباركة!
- 17 - أنه يذهب المروءة، ويسلب عن الإنسان الإرادة والعزيمة فيفقد السيطرة على نفسه فلا يستقيم له العقل والعلم والحال ! والإسلام جاء لترسيخ المعاني الإنسانية السامية من المروءة والشهامة والاستقامة والصبر والزهد والصفاء.. ألا ترى أن المدخن قد يتنازل عن شخصيته وعن كل ما يملك من أجل سيجارة واحدة عند فقدها؟! فيتسبب ذلك في فقدان التوازن الأخلاقي لدى المدخن، والمسلم مأمور بالتخلق بالأخلاق المصطفوية (صلى الله عليه وسلم): قال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ⁽¹¹⁾ وقال تعالى في مدحه (صلى الله عليه وسلم): {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ⁽¹²⁾
- 18 - إن للدخان رائحة كريهة ينزعج منها الصديق وال قريب والزوجة وأهل البيت أجمعين، حتى ملائكة الرحمن، فأن متعاطي الدخان لا شك يؤدي الملائكة الكرام من البررة الكاتبين والحفظة المداومين قال تعالى {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرِيمًا كَاتِبِينَ} ⁽¹³⁾
- 19 - الرسول (صلى الله عليه وسلم): منع أكلي البصل والثوم من دخول المساجد والأماكن العامة للرائحة الكريهة لدى الأكلين. قال النبي (صلى الله عليه وسلم): « مَنْ أَكَلَ الثُّومَ أَوْ الْبَصَلَ مِنَ الْجُوعِ أَوْ غَيْرِهِ فَلَا يَفْرِيَنَّ مَسْجِدَنَا» ⁽¹⁴⁾. ورائحة المدخن أشد

1 سورة الأنفال(22).

2 سورة النساء(142).

3 سورة التوبة(54).

4 سورة التوبة(119).

5 سورة الأحزاب (41).

6 سورة التوبة(122).

7 سورة هود(113).

8 سورة النساء(139).

9 سورة النساء(144).

10 سورة البقرة(185).

11 سورة الأحزاب(21).

12 سورة القلم(4).

13 سورة الانفطار (10) (11).

14 صحيح البخاري كتاب الأذان برقم160 - باب ما جاء في الثوم النيّ والبصل والكراث

فضاحة وقبحا وكراهة عند المصلين خصوصا عند السجدة في الصلاة، وكما قال مفتي الديار المصرية في فتاواه "يقاس على ذلك كل ذى ربح كربه ومنه التدخين"⁽¹⁾

20- وقوله (صلى الله عليه وسلم): «لا ضررَ ولا ضرارَ»⁽²⁾ فهذا الحديث الشريف من أمهات القواعد الفقهية عند العلماء، قال الأمدى: "وهو عام في كل حرج وضرار، ضرورة كونه نكرة في سياق النفي"⁽³⁾ والتدخين لا شك وفيه من الأضرار ما لا يعد، عليه وجب الاجتناب عنه.. والضرر هنا ينقسم إلى أنواع:
أ- ضررٌ بدني: حيث يُضعف القوى ويُغير لون الوجه بالصُفرة والإصابة بالسعال الشديد الذي قد يؤدي إلى مرض السل؛ وأنه لا فرق في حرمة المضر بين أن يكون ضرره دافعياً (أي يأتي دفعة واحدة) وأن يكون تدريجياً فإن التدريجي هو الأكثرُ وقوعاً.

ب- ضررٌ مالي: ويُعنى به أن في التدخين تبذيراً للمال لأنه لا يفيد لا في الجسم ولا في الروح ولا في الدنيا ولا في الآخرة وقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم): عن إضاعة المال كما مر معنا.

ج- وضرر للبيئة للمجتمع كما تقدم بيانه بل إن إهمال أعقاب السجائر قد يسبب حرائق كثيرة في البيوت والمعامل.

21- وقوله (صلى الله عليه وسلم): يَقُولُ «كُلُّ أُمَّتِي مُعَاقِي إِلَّا الْمُجَاهِدِينَ، ُ»⁽⁴⁾ فالتدخين من باب المجاهرة بالمعصية، ومعلوم أن المجاهر بالمعصية أشدُّ إثمًا من المسرِّ بها.

22- أن متعاطيه فيه تشبه بأعداء الله الكافرين؛ لأن الدخان ظهر في بادئ الأمر في بلاد الكفار. وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم): قَالَ «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ صَبَّ لَسَلَكْتُمُوهُ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ «فَمَنْ». ⁽⁵⁾ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ...»⁽⁶⁾ وفي رواية لمسلم أيضا - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «خَالِفُوا الْمُجُوسَ»⁽⁷⁾ وعند البيهقي في سننه عَنْ يَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «خَالِفُوا الْيَهُودَ...»⁽⁸⁾

23- وقوله (صلى الله عليه وسلم): «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَزْعَى حَوْلَ الْحَمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». ⁽⁹⁾ فدل ذلك على أنه حتى وإن لم يوجد ما يحرم التدخين أو يبيحه فالأولى للاتقياء والصالحين والوارعين تجنبها لأنه على أقل تقدير فهو من الشبهات التي ينبغي اتقائها عملا بالسنة النبوية (صلى الله عليه وسلم). ومثله حديث الترمذي عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصَّدْقَ طَمَئِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ». ⁽¹⁰⁾

24- الإسكار والتخدير والتفتير: قالوا أنه من المعلوم أن كل من شرب دخاناً كائناً من كان أسكره (بمعنى أشرقه وأذهب عقله بتضييق أنفاسه ومسامه، عليه فالإسكار من هذه الحثية ؛ لا من حيث سكر اللذة والطرب). ومن قال لا إسكار فيه لم ينكر التفتير والتخدير فيه، لذلك إن لم يُسلم أنه يسكر فهو يُخدر ويفتر، والرسول (صلى الله عليه وسلم): «نهى عن كل مُسكر

1 فتاوى الأزهر، حكم التدخين المفتي عطية صقر 10/ 385 مايو 1997 عن: موقع وزارة الأوقاف المصرية <http://www.islamic-council.com>

2 سنن ابن ماجه كتاب الأحكام برقم 2430.

3 الإحكام في أصول الأحكام للأمدى 229/4.

4 صحيح البخاري كتاب الادب برقم (6069) عن سالم بن عبد الله عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

5 صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء برقم 3456 - عن أبي سعيد (رضي الله عنه).

6 صحيح مسلم كتاب الطهارة برقم 625 - عن ابن عمر (رضي الله عنهما).

7 صحيح مسلم برقم (626).

8 سنن البيهقي كتاب الصلاة برقم (4430).

9 صحيح البخاري كتاب الإيمان برقم 52 - عن النعمان بن بشير

10 سنن الترمذي كتاب صفة القيامة برقم (2708) عن بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ومفتّر»⁽¹⁾ والمفتّر ما يورث الفتور والخدر قي الأطراف. ولا ينكر أن التدخين مما يدمن، والإدمان غير مباح في الإسلام. وقد صدر في مجلة: (باحث الكونجرس) تقرير هام عن التدخين، ذكر أن هناك سعي حثيث من منظمات الأغذية والدواء في أمريكا لجعل الدخان ضمن قائمة المخدرات المحرمة فقد أثبتت التقارير الطبية بأدلة قاطعة أن مادة النيكوتين هي مادة مخدّرة، وتسبب الإدمان.* وأن مادة النيكوتين الموجودة في السجائر، مادة مخدّرة، وزيادة نسبتها تجعل المدخن يتعود عليها ويدمنها. والتقارير أثبتت أن الشركات تحرص على زيادتها ليكثر المدخنون وتزيد المبيعات والأرباح.* و ضمن المحاربة الجادة للدخان في الغرب تم منعه في البنايات، والأماكن العامة، والمطارات والطائرات، بل منعه بعض الولايات في المطاعم وكل مكان يقدم فيه الطعام، كما منعت الدعاية له داخل أمريكا في كل وسائل الإعلام وحرمت شركات التدخين من رعاية أي نشاط اجتماعي أو ثقافي أو رياضي، وتم إلزامها بوضع ملصق تحذيري يذكّر بأنه سبب رئيس للأمراض المميتة.⁽²⁾

25- قوله (صلى الله عليه وسلم): « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا »⁽³⁾ وفي الصحيح أيضا: « من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة »⁽⁴⁾. وعند البخاري في صحيحه عن ثابت بن الضحّاك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قَالَ « قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »⁽⁵⁾ وعن جابر بن سمرة قَالَ أَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم): بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصٍ⁽⁶⁾ قَلَّمَ يُصَلِّ عَلَيْهِ⁽⁷⁾ تلك الأحاديث الصحيحة وأمثالها توضح جليا حكم من تسبب في قتل نفسه بأي شيء كان، وقد أثبت الأطباء أن التدخين قتل تدريجي للنفس البشرية، فوجب الكف عنه كي لا ينطبق على المدخن منطوق تلك الأحاديث نصا أو قياسا!

26- لا شك أن الجميع بمن فيهم المدخنون يعلمون جيدا مضار التدخين وما من مدخن إلا ويوصي أبناءه على الابتعاد عن التدخين ولا يرضى لهم بتعاطيه، فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يرضى لنفسه البقاء في أسر الهوى النفساني الهالك، أليس الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم): قد ذميا الركون إلى الهوى النفساني وحثيانا على تجنب نصائح النفس المهلكة؟ والنصوص في ذلك كثيرة منها قوله تعالى {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا} ⁽⁸⁾ وقوله تعالى {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ⁽⁹⁾ وقوله {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ⁽¹⁰⁾، ومن السنة قوله (صلى الله عليه وسلم): قَالَ « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ »⁽¹¹⁾

1 سنن أبي داود كتاب الأشربة برقم (3688) - وأحمد في المسند برقم 27392 عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (وفي صحيح البخاري كتاب المغازي برقم 4343 عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه): « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » ورواه صحيح مسلم كتاب الأشربة برقم 5332)

2 حكم شرب الدخان وإمامة من يتجاهر بشربه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز 7/1 نقله عن: تقرير منشور في 30 / 9 / 1994م، في مجلة باحث الكونجرس الفصلية (researchar. Q. c: magazine) تحت عنوان: تشريعات خاصة بالتبغ.

3 صحيح مسلم كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه عن ابي هريرة برقم 313 ورواه البخاري بلفظ (من قتل نفسه بحديدة عذب به في نار جهنم) ينظر: صحيح البخاري كتاب الجنائز عن ثابت بن الضحّاك برقم (1363) وفي كتاب الطب أيضا برقم 5778 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ».

4 صحيح مسلم كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه برقم (49).

5 صحيح البخاري كتاب الأدب برقم (6047) عن ثابت بن الضحّاك (رضي الله عنه) و أطرافه: (1363، 4171، 4843، 6105، 6652).

6 المشافص: جمع مشقص قال ابن منظور: المشقص من النصال الطويل وليس بالعريض فأما العريض الطويل يكون قريبا من فنر فهو المغبل والمشقص على النصف من النصل ولا خير فيه يععب به الصبيان وهو شرّ النبل "لسان العرب مادة (شفص) 48/7

7 صحيح مسلم كتاب الجنائز برقم 2309 - عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (رضي الله عنه).

8 سورة الفرقان(43).

9 سورة القصص(50).

10 سورة الجاثية (23).

11 سنن الترمذي كتاب صفة القيامة برقم 2647- عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. و سنن ابن ماجه كتاب الزهد برقم 4401.

ونعم ما قاله الشيخ محمد البوصيري رحمه الله في (بردته) الشريفة:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فآتهم⁽¹⁾

وقال أيضا: والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تقطمه ينفطم⁽²⁾

ومما تجدر الإشارة إليه أن مرشد الطريقة النقشبندية الشيخ محمد عثمان سراج الدين بيارة الكردي الشهرزوري النعمي (رحمه الله) كان قد أفتى بتحريمه، وأتذكر أنني كنت في نهاية الثمانينات حاضرا ذات مرة بين يديه في خانقاه ببغداد إذ يلقن بعض من ابتلي بشرب الدخان فينصحه كي ينزجر عن تلك العادة السيئة، وكان (رحمه الله) يصف الدخان حين النصح بالملعون فيتنصّح له الناس بالعشرات فيتركونه بفضل الله تعالى أو لا صم بإرشاداته عن أضراره دينا ودنيا. ونقول كذلك: إذا كان هذا في حق الرجال فإن الحكم في حق النساء أشد غلاظة وتعاطيه أقبح وجهها، لأنه بالإضافة إلى قبائحها وأضرارها فإن التدخين يشوه جمال المرأة ويغيّر لون أسنانها ويجعل رائحة فمها كريهة مع ما يجب أن تكون عليه المرأة من أنوثة وحسن كما أراد الله سبحانه وتعالى لها، بالإضافة إلى أن تدخين المرأة لا سيما أمام الناس قد تفسر على أنه علامات وإشارات لا أخلاقية، حتى في الغرب فإن المجلات والمنشورات الأمريكية ومنذ نصف قرن من الزمن قد أكدت تلك الحقيقة وجعلت من إكثارهن للتدخين عاملا شيطانيا وفسادا كبيرا لسلوكهن بحيث يؤدي في النهاية مع عوامل أخرى إلى زوال حضارتهم كما زالت حضارة الأولى (الرومان)⁽³⁾.

نتائج البحث وتوصياته

أولا: النتائج

- الحمد لله في البدء و الختام، فبعدما تقدم من البحث الموضوعي في التدخين وما يتعلق به من سرد الأدلة العقلية والبراهين النقلية والدراسات العلمية لا سيما في مجال الطب الإنساني توصلنا إلى جملة مهمة من النتائج وأهمها:
- 1- إن مواد التدخين التي يتركب منها هي مواد سامة ومضرة جدا بالصحة الإنسانية تعود بالضرر الظاهر والجسيم على المدخن نفسه وعلى المجتمع وعلى البيئة بأسرها.
 - 2- عادة التدخين يؤدي علميا وطيبيا إلى جملة من الأمراض المستعصية والخطيرة يربو على مائة مرض عضال بل وأكثر..
 - 3- حكم تعاطي التدخين في الفقه الإسلامي كما بحثنا هو التحريم، ومن قال بالكراهة إن كانت كراهة تحريم فذلك وإلا، فلا دليل له عقلا كان أو شرعا، إلا شبهات هو أدري بغيره من حيث بطلانها، عليه فعادة التدخين من البدع المتناولة المحرمة التي يجب الكف عنها ومنعها بطرق وأساليب حكيمة ومحكمة.
 - 4- قد يستثنى من التحريم المباشر من ابتلي بشربه مدة مديدة وأصبح إيمانه بحيث إذا تخلى عنه بالكلية ربما فقد عقله أو أصيب بعاهة كفقْدان البصر أو الشهية أو مرض أشد، حينئذ فالفتوى بخصوصه هو لزوم الترك بصورة تدريجية.
 - 5- حكم المرأة في تناول التدخين كحكم الرجل بل بالنسبة إليها أشد حرمة وقباحة.
 - 6- يكره من يعتاده دخول المساجد قياسا على البصل والثوم .
 - 7- إن الله تعالى قد وهب للإنسان إرادة قوية يستطيع أن يتجاوز بها الصعوبات والمغريات، وهب له إمكانيات فكرية ومعرفية هائلة يستطيع بها أن يتبع الخطوات العملية والعلمية والمنطقية التي تساعد على التخلي عن عادة إدمان التدخين السيئة، فبقليل من الإرادة والعزم يستطيع أن يتخلى عنها فيحافظ بذلك على دنياه ودينه، وعلى نفسه وأسرته ومجتمعه وحضارته.

1 ينظر: بردة المديح للشيخ محمد البوصيري ص 10.

2 ينظر: المصدر السابق: ص 18.

3 ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب 102/2.

ثانياً: التوصيات

وأما التوصيات فأهمها:

- 1- لا شك أن لعدوى التدخين عوامل عديدة سردنا ذكرها في الدراسة، وتقع المسؤولية على أولي أمر الشاب والمراهقين تربوياً ثم البيئة والمجتمع المحقق به ثم الدولة ومؤسساتها الصحية والتربوية..
- 2- لا بد من معالجة تلك العوامل المؤدية إلى تفشي عادة التدخين لدى المراهقين عن طريق التعبئة المركزية والتوعية المركزة والتثقيف الشرعي والعلمي والطبي للجيل الناشئ خصوصاً وذلك للحد منه وفي جميع المستويات.
- 3- وبعد أن عرفنا مدى خطورة التدخين علمياً وعقلياً ومدى قبحته شرعاً، أن الأوان للمدخنين أن يتركوه، وللدعاة نشر التوعية الدينية عنه، وينبغي للحكومات الإسلامية والجهات المتعلقة - خصوصاً برلمانات الحكومات الإسلامية - اتخاذ خطوات جديّة أولية للحد منها وإصدار قرارات تقنينية أشمل وأعم مما صدر إلى الآن يتناول صراحة منع التدخين أثناء العمل المهني، وفي الأماكن العامة كالمستشفيات والجامعات وغيرها، وعدم السماح بالتدخين بناتا في الأماكن المغلقة ومنعه منعاً باتاً في جميع المدارس وفي مختلف مراحلها، وإدخال مواد تثقيفية في المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد والجامعات عن مضار التدخين، وتبليغ قوات الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لمنع الدعاية للتدخين وخطر شامل على جميع أشكال الترويج له، وتوجيههم لوضع دعاية مضادة للتدخين، وإدخال برامج تثقيفية عن مضاره ووضع معايير وحدود قصوى لمستويات المواد السامة في البيئة وكذلك النيكوتين وأول أكسيد الكربون.. وغير ذلك. فأرجو بذلك أن أكون قد وفقت إلى خدمة جليلة بالمسلمين عموماً وبني جلدتي الكرد الأفاضل خصوصاً، فما كان موافقاً صحيحاً فمن الله تعالى وحده، وإلا فمن نفسي ولا أزيكها، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- (1) الاحكام في اصول الاحكام تأليف الامام العلامة علي بن محمد الامدي علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الاولى، المكتب الاسلامي ومؤسسة النور بيروت، 1387 هـ.
- (2) بردة المديح المباركة، ابو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المتوفى 694هـ، مكتبة المضي، لصاحبها السيد مضي الحاج، بغداد - العراق.
- (3) تهذيب الفروق والقواعد السنوية في الأسرار الفقهية للشيخ محمد بن علي بن حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة (1367هـ)، حاشية على أنوار البروق في أنواء الفروق لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، ومعها حاشية إدراج الشروق على أنوار الفروق للشيخ قاسم بن عبد الله المعروف بابن الشاط (723هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- (4) الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي المتوفى 279هـ، تحقيق: احمد محمد شاکر وآخرون، ط، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- (5) حكم شرب الدخان وإمامة من يتجاهر بشربه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
- (6) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه المتوفى 275هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- (7) سنن أبي داود، ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي المتوفى 275هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- (8) سنن البيهقي السنن الكبرى، أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي المتوفى 458هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر، ط1، دار الفكر، بيروت، 1416هـ - 1996م. وطبعة دار الباز، بتحقيق: احمد عبدالقادر عطا، مكة المكرمة، 1414هـ - 1994م.
- (9) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: 821هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- 10) صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي المتوفى 256هـ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت-لبنان، 1407هـ-1978م.
- 11) صحيح مسلم، أبو الحسين محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى 261هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- 12) العقيدة وأثرها في بناء الجيل: الدكتور عبد الله عزام الطبعة الأولى نشر وتوزيع مركز شهيد عزام الإعلامي ببشاور باكستان.
- 13) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط7، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان. 1971م.
- 14) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري الطبعة الأولى دار صادر - بيروت - لبنان.
- 15) مراعاة البراهين في مضار التدخين، علي (افندي) عزت المصري - نشر في تونس عام 1317 هـ.
- 16) مسند الإمام أحمد مسند احمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني ت241هـ، ط: مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر، د.ب.
- 17) مجلة باحث الكونجرس الفصلية لكتابه (researchar. Q. c: magazine) تقرير منشور في 30 / 9 / 1994م تحت عنوان: تشريعات خاصة بالتبغ. بتاريخ: 25 / 4 / 2006 .
- 18) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، ط1: عالم الكتب، بيروت، 1429 هـ - 2008 م.
- 19) معجم المطبوعات العربية والمعربة جمعه وترته يوسف سركييس، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
- 20) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، الناشر مكتبة المثنى بيروت - لبنان.

من شبكة الإنترنت:

- 1- التدخين/ عن موقع <http://www.khayma.com/fahad.htm> بتاريخ: 2006/4/12م.
- 2- التدخين/ عن موقع <http://www.kalamat.org/> بتاريخ: 2006 / 4 / 19 م.
- 3- التدخين/ عن موقع <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm> = بتاريخ: 2006/4/24م.
- 4- التدخين/ عن موقع www.who.ch/ntday = بتاريخ: 2006/4 / 25
- 5- التدخين/ عن موقع www.layyous.com 5- بتاريخ: 2006 / 4 / 15م.
- 6- التدخين/ عن موقع <http://www.islamtoday.net/articles> بتاريخ: 2006 / 4 / 16 م.
- 7- التدخين/ عن موقع: www.islamtoday.net // بتاريخ: 2006/4/26 م.
- 8- التدخين/ عن موقع <http://www.sehha.com/generalhealth/smoking.htm> بتاريخ: 2006 / 4 / 28م.
- 9- التدخين السلبي وأضراره على جسم الإنسان، د. جمال عبدالله باصهي * 1424/7/18 2003/09/15م*
بكالوريوس الأمراض باطنية دكتوراه في أضرار التدخين مدرس الفسيولوجيا بكلية الطب جامعة حضرموت، نقلا عن: موقع: www.islamtoday.net // بتاريخ: 2006 / 4 / 28م.
- 10 دراسة: طارق محمد، لتعريف التدخين وأضراره عن موقع: <http://mawdoo3.com> بتاريخ: 2018/1/9م.
- 11- فتاوى الأزهر، حكم التدخين المفتي عطية صقر. مايو 1997 عن: موقع وزارة الأوقاف المصرية <http://www.islamic-council.com>
- 12- يوميات شامية (الحوادث اليومية من تاريخ إحدى عشر وألف ومية). المؤلف: الشيخ محمد ابن كنان عن: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com> بتاريخ: 2006/4 / 25 م.